

در مسافت كاترين

بطور سيناء (١)

للمنر راينر

تصنفت كتلة الجنرال في مصر

١ - تاريخ الربر - الرهبان

لشب جزيرة طور سيناء شأن كبير في تاريخ العالم الديني . وسنتهي من بحثنا هذا عبادة القبر
وتشر لوحات الوصايا العشر ، فان هذين الموضوعين كانا محل دراسات عدة
كان الطريق الذي يربط فلسطين بمصر يخترق الجزء الشمالي من شبه الجزيرة . اما الجزء
الجنوبي فقد كان شهوراً بتاجم الفيروز على الخصوص . وهو اقليم مجذب جلي ولاسيما في الجنوب
حيث توجد قمم سربال Serbal (٢٠٥٧ م) وجبل موسى (٢٢٤٢ م) وجبل كاتريني Katerini
(٢٥٩٢ م) ورأس صفاص (١٩٩٢ م) . وفي الجزء الجنوبي جبل تبت Tbet (٢٤٠١ م)
وجبل ام شوس (٢٥٢٤ م) وجبل ام اسود (٢٥٠٨ م) . وجبها من اشد البقاع وعورة
اما جبل موسى فيقال انه المكان الذي اصدر الله فيه الى موسى الوصايا العشر وان كان
بعض الكتاب يرى ان هذا المكان هو رأس صفاص . واما جبل كاتريني فهو اكثر الجبال
ارتفاعاً في شبه الجزيرة ويقال انه هو الذي حملت اليه الملائكة حين انزلوا الشريعة القديمة
كاترين . وقد تلاشت منذ حقة طويلة من الزمن اشجار الاتل tamaris وحراج التخل التي
كانت تكسو جانباً من وديان طور سيناء

اما معابد وادي مغارة ومرايت Serapit فقد اسهب الكتاب في وصفها . ثم ان في الحيل كتابات
كثيرة فرعونية وعلى ذلك فلن نعرض في هذا البحث لاقامة بني اسرائيل في طور سيناء ولا لاقامة
الاقباط ، فكتابات هؤلاء تكاد تكون موجودة في الوديان في كل مكان ولاسيما في وادي سقبط
والنساك هم الذين اكتسبوا هذا الاقليم شهرة طوال العصور المسيحية ، فقد لجأوا اليه على
أثر اضطهاد الحكام الرومان ايام ، لما يمتاز به من العزلة والوحشة فأقاموا في جبال شبه الجزيرة

(١) نقلها الى العربية محمد وهي اختصت أسد تريمحي عهد الآثار الاسلامية

الجنوية حيث كانت عيون الماعوجارها وكان في الامكان زراعة الحبوب والخضر وأتجار الفواكه وكان أول منسك هو القديس اونوفريوس Onofrius الذي التجأ الى سارة في وادي لان Meyan جنوبي جبل موسى في بداية القرن الرابع ثم جاء بعده كثير من النساك الذين خلفوا آثاراً في كل مكان وسرعان ما تكومت مراكز في كل منها برج يلجأ اليه النساك ساعة الخطر. ومن هذه الأبراج برج بالقرب من ريثو Raithou وقد اندمج فيما بعد في دير القديس يوحنا، وبرز مهدم في اربين &rbain وكان هناك برج آخر في موضع اللبقة المتوقدة^(١) Buisson-Ardent على مقربة من المكان الذي قام فيه دير سانت كاترين الحالي ويقال ان الامباطورة سانت هيلين بنت هذا البرج حوالي سنة ٣٣٧

وان طورسيفنا لثنية جداً في تاريخ القديسين والشهداء فقد قتل صيد البجعة^(٢) والعرب كثيراً من النساك وكان الرهبان عرضة دائماً لغارات الاعراب فتوسلوا الى الامباطور يوستيانوس ان يبني لهم ديراً يعبدون فيه مأمناً فأجاب مؤظلم وحقق رجاءهم واخذ الدير على مدى الزمن بكتسب الشهرة فلما نقل اليه جثمان القديسة كاترين علت شهرته فأتته الحجاج والفرسان المسيحيون منذ البداية حتى القرن الخامس عشر الذي اقتصل فيه الرهبان عن روما فصار الدير من ذلك الوقت مقصد بعض الحجاج اللاتين وكثير من الحجاج الارثوذكس وبعض السياح والطباء. وسيكون هذا الدير موضوع حديثنا في الصفحات الآتية :

لما توسل رجال الدين المشتكون على جبال طورسيفنا وفي وديانته الى الامباطور يوستيانوس أمر ببناء دير محصن كما قدمنا على قمة الجبل الذي يوجد في سفحه المكان المعروف باسم اللبقة المتوقدة أو للشخمة غير ان مندوب الامباطور أتر أن يبنيه عند سفح الجبل بالنظر الى الجو وضيق المساحة وانعدام الماء ، ويقال إنه قتل بسبب هذه المخالفة

وأرسل الامباطور في الوقت عينه الى طورسيفنا مائة من عبيد اقليم ولاشيا Wallachia

(١) Buisson-Ardent وأصل هذه التسمية ظور الله عز وجل لموسى وسط نبات من الشوك المتعدد جاء منه في الاسحاح الثالث من سفر الخروج : « وأما موسى فكان يرسي غنم بترون حيه كاهن مديان فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله سوريب . وظهر له ملاك الرب جليب نار من وسط عليقة . فنظر واذا العليقة تتوقد بالنار والعلية لم تكن تحترق فقال موسى أيل الان لانظر هذا النظر العظيم . لماذا لا تحترق العليقة . فلما رأى الرب انه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى أموسى ! فقال ها أنا . فقال لا تقترب الى هنا . اسلمع صدامك من رجلك لان الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة » وقد جاء في التران الكرسم في سورة طه « وهل أتاك حديث موسى ، اذ رأى ناراً فقال لاهله انكروا اني آتست ناراً لعل آتكم منها بقيس أو أجده على النار هدى ، فلما آتيا نودي يا موسى اني أنا ربك فخلص نليك ائتك بالواد القديس طوى » (٢) ذكر شفيق بلنا في كتابه « مذكرات عن زيارة ال دير طورسيفنا » ص ١١ أن من سلاة عبيد البجعة البشاريين سكان شرق أسوان وبلاد النوبة في أيامنا هذه ، وكان عبيد البجعة يبرون الى سيناء لقتلهم من صحراء مصر الشرقية

ومائة أخرى من مصر مع نسايم وأولادهم للقيام بحماية الرهبان وخدمة الدين. ولا يزال خلف أولئك السيد يخدمون اندرو وهم مسلمون ويقوم الرهبان بطعامهم.

وقد كان البابا غوريجوربيوس الكبير (٥٩٢ - ٦٠٤) أحد الذين أحسوا إلى الدين. وروى حاج إلى القبر سنة ١٣٤١ أن الرهبان كانوا يحتضون بذكرى ذلك البابا احتفالاً نفياً.

وقد اعترف الرهبان بإيادى البابا حتى أواسط القرن الخامس عشر ثم اعتنقوا عقيدة فرييريس Photius الذي انشق على الكنيسة ومع ذلك فقد ظلوا يمشون منهم من يجمع لهم التبرعات من البلاد الكاثوليكية والتبرعات السنوية التي كان يجود بها لويس الحادي عشر ملك فرنسا وإيزابلا ملكة أسبانيا (١٤٨١ - ١٥٠٤) والامبراطور كسيمان الأول (١٤٩٣ - ١٥١٧).

وقد قامى المير كثير على أيدي العرب الذين لم تردعهم الضمانات السلطانية الجديدة التي أوجت عدم التمرض للأرواح والأسوال بسوء، فاضطر الرهبان مرات عديدة إلى أن يهجروهم ويتجهوا إلى الطور Ter أو إلى مصر. ولذا كان الدبرخاليك عند زيارة جان توخر Joesu Tucher من مدينة نورمبرج سنة ١٤٧٩. وطرد العرب الرهبان من الدير سنة ١٥١٦ أثناء الحرب بين الأتراك والمماليك. وكان الدير مطلقاً مدة أربع سنوات أو خمس في منتصف القرن السادس عشر ثم كان مطلقاً أيضاً في سنة ١٥٦٥ وفي سنة ١٦٠٠ كما كان مطلقاً كذلك في سنة ١٦١٨ وهي السنة التي انتخب فيها ابوزاف Ioasaph مطراناً في طورسينا وأسر بفتحها، غير أنه أغلق ثانية بعد أربع عشرة سنة وكذلك كان بين سنتي ١٦٥٦ و ١٦٦٠ وبين سنتي ١٧٣١ و ١٧٣٣ وأثناء الحملة الفرنسية على مصر حتى أمر كبير بناء السور. واحتفت عدد الرهبان كثيراً باختلاف الأزمنة ففي سنة ١٠٠٠ كان المائة وفي سنة ١٣٣٦ وجد فيه بيتر رودلف Peter-Rodolf وأحد من مدينة زوخن نيقاً وأربع مائة مع مطرانهم وعدداً من الاحبار. وروى فريكو بالدي Frescobaldi ورفقاؤه أنه كان بالدير سنة ١٣٨٤ مائة راهب منهم ١٥٠ بالدير الكبير والبقية موزعون على كنائس الحبل الصغرى. وكانوا ٢٨ سنة ١٣٩٣ وفي سنة ١٣٩٥ وجد يقول دي خارتولي Nicolas de Marton ٢٤٠ راهباً، غير أن يروطنور Pero Tubur لم يجد سنة ١٤٣٥ إلا ٥٠ أو ٦٠ راهباً وكان الدير يجاز حينئذ أزمة شديدة. اما فيلكس فليز Felix Tubur الذي زار الدير ١٤٩٤ فلم ير إلا ثلاثين راهباً ويظهر أنه كان بالدير في القرن السابع عشر بين الستين والثمانين راهباً وربما كان لتأسيس ادارة عدة بالقسطنطينية وقبرص وكريت وبلتراد وبوخارست وجاسي وايضا تأثير كبير في عدد رجال الدين المقيمين بسانت كاترين فلم يعد هناك مئات من الرهبان كما كان يجد زوار العصر الوسيط. ففي سنة ١٧٠٠ لم يجد بونيه Ponce غير خمسين ومثله فولتي Voland عند زيارته للدير سنة ١٧٩٣. ثم كان العدد ٢٨ سنة ١٨٠٠ منهم ستة من رجال الدين





دير سانت كازين بطورينتا

وأثنان وعشرون من الرهبان. ثم كان ٢٣ سنة ١٨١٦ عند زيارة بودكاردت Borchardt ولم يزد الرهبان حتى يومنا هذا فقد أحصى ولند Walsted ٢١ راهباً وقرين شورث Von Schubert ٢٦، ولم يجد روبنس Robinson غير ٢٠. ووجد لبوس Lepaus سنة ١٨٤٥ خمسة وعشرين منهم أربعة نس وواحد وعشرون راهباً. وأحصى إيرس Ehers سنة ١٨٧١ ثمانية وعشرين. وكانوا عشرين سنة ١٩٠٥ ولم يزد عددهم من ذلك الحين إلا قليلاً وفي دراسات كاترين عدداً المطران خمسة وتسوس وثمانس واحد وأربعة رهبان مبتدئين وثمانية من خدام الرهبنة غير مترهبين. ومجموع الرهبان الثنتين الى الدير ٤٩ والى القارى. ياناً مفصلاً:

محل الإقامة	رؤساء الأمانة	تسوس	ثمانسة	رهبان جدد	خدام من غير المترهبين	الجملة
سنت كاترين بطورسبنا	١	٥	١	٤	٨	١٩
فاران Paron					١	١
الظور		١	١	١	٢	٥
السويس			١			١
القاهرة		٤		١	١	٦
امبر.		١				١
طرابلس الشام		١				١
تيرس — كيرينا Urimia		٢			٢	٢
— بانوس Paphos		١			١	١
ريزو كارباسو Rizo Karpasso		١			١	١
كريت — قندية Candie		٢			٢	٢
— لاكانيه La Canée		٢			٢	٢
مساره Messara			١		١	١
سيلوتيا Spileotissa		١			١	١
زانت Zante		١			١	١
خيو Chio		١			١	١
يانينا Janina		١			١	١
القسطنطينية		١			١	١
اينيا			١		١	١
الجملة	١	٢٥	٥	٦	١٢	٤٩

ويضم المطران بالدير الا اذا كان وجوده بالقاهرة ضرورياً فيها يتعلق بأعمال الطائفة وهو
 بدير الدير يساعده المجمع للقدس *Saint Synaxis* الذي يتكون من النائب وأمين الصندوق
 وأمين الخازن

ولذا تيب المطران حل محله النائب والرهبان اجمعين — ماعدا المتدينين — حتى انتخاب
 الرئيس ويجري الانتخاب بدير سانت كاترين بطورسينا ويقوم الناخبون بتوكيل من ينوب
 عنهم في الانتخاب . ونقل الرهبان من وظيفة الى اخرى او من دير الى آخر من اختصاص
 للمطران والمجمع المقدس . وتنتج الطاقة ان تقرر عزل المطران غير انه يمكنه ان يستأف
 فرادها امام بطريرك بيت المقدس



واسقفية طورسينا كنيسة مستقلة استقلالاً ذاتياً وفي مرتبة اسقفيات كريت وتنكوسلوفيا
 واستونيا وفنلندا . المطران يرسمه بطريرك بيت المقدس . وهذا دليل على أن دير طورسينا تابع
 لكنيسة بيت المقدس . وكانت الطائفة قبل الحرب على جانب كبير من الفنى فكانت تمتلك ربما
 قدره ثمانية آلاف من الجنيهات للمصرية غير ان ممتلكاتها في رومانيا قد صودرت وكان ضمنها
 سينايا *Sinaiia* وهو قصر الصيف الملكي في وقتنا الحاضر . وكذلك صادرت رومانيا املاكها في
 بلاريا عند ماضم هذا الاقليم الى رومانيا . ويبت املاكها في الصرب اثناء الحرب . كما ان
 الهلوة ذات الابراد التي انتأها في حيف *Obiv* ضمن ممتلكاتها الزراعية بالقرب من هذه
 البلدة صودرت قبل ان يتمكن الدير من استغلالها اي استقلال مع أنها كلفتها سنين الفأ من
 الجنيهات . وكذلك ممتلكاتها في قفليس . ثم ان الحكومة التركية وضمت يدها على دير ازمير ولم
 يستطع الدير حتى اليوم ان يسترده فلم يبق للدير بعد ذلك من ممتلكات الا في قبرص وكريت
 وارباعا ضئيل . ثم ممتلكاتها في القاهرة وحدائقها وصورها في شبه جزيرة طورسينا
 والتبرعات التي كان الدير يجلبها في البلاد السيحية ذات المذهب الارثوذكسي تضاعفت
 فلم تعد تجدي واضطر الدير الى اهمالها



والرهبان يتعمون القواعد التي وضها القديس بازيل ويعيون حياة الزهد والتقشف فلا
 يأكلون اللحم الا نادراً ولا يتناولونه في غرفة الطعام باناً ولو كان اليوم عيد الفصح فأهم فيه
 يتعدون ممكناً ثم يخرجون ماء الى الحديقة وهناك فقط يأكلون اللحم

ويتقاضى الراهب كل شهر لثراً من التراب وجنين مصريين . ويصنقظ الرهبان جيباً في الساعة الثانية والنصف صباحاً إذ يندق جرس صغير ثلاثاً وثلاثين دقة (سن المسج) ثم يندق ناقوس كبير بعد خمس دقائق ٣٣ دقة مثلها ويرتل الرهبان في الكنيسة صلاة السحر في الساعة الرابعة ويدعون الى هذه الصلاة بالسناندر^(١)

ثم في الفترة بين عيد الفصح وعيد الصنمرة يقام القداس الكبير كل يوم في البازيليك (الكاتدرائية) او في الكنائس الصغرى والقداس يقام في البازيليك لمناسبة الاعياد الكبيرة وهي عيد الفصح وعيد سانت كاترين وعيد التجلي . اما في غير هذه الاعياد فيقام القداس الحافت أيام الاحاد والاربعاء والسبت . وفي الاعياد الصغرى يقام القداس الصغرى . ويقام القداس أيام الاربعاء في كنيسة المدراء المقدسة الواقعة اسفل المكتبة . وأيام السبت يقام في كنيسة الطيفة المشتملة ، الموهوبة الى الصنمراء .

اما يوم الاموات وایام السبت الخاصة بالصيام الكبير فيقوم قسيس بالقداس في المقبرة في

كنيسة سان تريظون *Saint Tryphon*

ويتناول الرهبان بعد انتهاء القداس تجماعاً من القهوة التركية ثم يتوجهون الى أعمالهم . ويدعون جيباً بالسناندر السالف الذكر الى الفطور معاً في الساعة العاشرة والنصف وفي الساعة الثالثة بعد الظهر يندق الناقوس ثلاث دقائق إيماناً بصلاة للرب ، ثم بعد الصلاة يقرع السناندر ثلاث مرات ان قد حان موعد تناول المشاء فيتناولها الرهبان في خلوتهم ويقرع السناندر الحديدى بدل الحصى في أيام السبت . اما أيام الاعياد فتندق ثمانية اجراس صغيرة إيماناً بيده القداس ، وهي الاجراس التي كانت روسيا قد اهدتها الى الدير منذ خمسين سنة تقريباً

ومجدتا الشمس اترم *Sypharam* (١٦٥٠) عن بلاطة من الجرانيت نخرج اصواتاً مدنية مؤثرة جداً وكانت تفرع أيام الحداد^(٢) ، واليوم يقرع الناقوس في هذه الاحوال . وحساب الزمن عند الرهبان يبدأ من غروب الشمس [للمقال تمت تناول وصف الطريق من القاهرة الى الدير ثم وصف الدير ورسومه وناظره وسوره وتخطيطه]

(١) السناندر *Symandre* لوح من خشب الصل يسبق من يافته وتصغرته اموات منسجة متلائمة حين يقرع باللسق

(٢) *B. Meistermann. Guide du Nil au Jourdain par le Sinaï et Pétra* طعة باريس

صه قبل طارق

فتحنا احد مجلدات المتحف من دون تغيير فاذا هو المجلد الثاني والثلاثون الصادر سنة ١٩٠٧ فقلنا صفحاته فاستوفتنا صورة جبل طارق لكثرة ما يدور حواله من شؤون سياسية وحرية دولية في هذه الايام فراجعنا ما كتب عنه فاذا هو فصل من رحلة للرحوم الدكتور صرُوف. واذا مرأى الحسن واقترانه باسم طارق بن زياد قد حرك الحاطر الشمري فقال القصيدة التالية. ومن غرائب الاحاق انها منشورة في مقتطف اكتوبر سنة ١٩٠٧ اي من ثلاثين سنة تماماً

ربة الشعر هل أفاك حديث	عن كاة الاعراب من قبل طارق
عن غزاة في التفرشوا زمان الرو	مُ والقرسُ يملكون المشرق
عرش كسرى ومصر والشام ثلوا	وجروا في الفتح جري الوابق
حاول الروم صدم تصدى	كل من في ولاهم غير صادق
من يهود وصاشين وقبط	والنصارى ^(١) وكل خصم مشاقق
نصروا العرب حقية وجهاراً	لم يجارب للروم غير الاصادق
شمخ الروم قبل ذلك وجاروا	هل انام ان ليس للمخلق خالق
واناخ الفساد والقرس جاسوا	بجره خاضين حتى الحنائق
وإذا الظلم والفساد اقاما	نضب الحوض من حاة الحنائق
نصر الله أمة إذ تولى	امرعا المادلون بين الحلائق
قام صديقها باصدق أمر	وتلاء القاروق بالمدد قارق
وكاة في المكرمات تباروا	وهم الاسد في صدور الفياق
دوخوا الارض وطردوا الملك قاموا	بفروض الكتاب تحت اليارق
ثم عزوا والملك صار محضاً	فاستكنوا كنهم في حدياق
وتباروا في البذخ فالظلم قالا يسال	في ما يعد للملك ماحق
شمس عدل ضنت شعوباً فلما	كفت فرقت الشعوب طرائق





الفيلسوف رنه ديكارت

René Descartes